من هنا وهناك

مرقص الشانزليزيه

حرصت باريس دائماً على أن تحتفظ للرقص بالمنزلة الممتازة التى يستحقها ؛ لأنها تراه فناً رفيعاً كأخته الموسيقا وكأخيه التمثيل وكعمه الأدب . وهو من أجل ذلك يلجأ إلى الأدب وإلى الشعر خاصة لينشئ له النص الذى يعتمد عليه ، كما يلجأ إلى اللحن والايقاع ليكونا شيئاً أكثر من الحركات والاشارات . وهو كالمأساة والملهاة والدرامة محتاج إلى التصوير والعمارة والنحت والتخطيط والبدع — الموضة — والاضاءة ، إذا أراد أن يظهر فى المناظر الملائمة ، وأن يكسو جسمه وأن يراه الرائى فيعجب به .

ومن أجل ذلك رغب كبار الشعراء وكبار الملحنين وأصحاب الصوت البعيد من الفنانين فى أن يتعاونوا لينشئوا آية بديعة من آيات الرقص. فاذا تحققت هذه الشروط الدقيقة العسيرة وأعان بعضها بعضاً أتيح للنظارة أن يشهدوا مناظر فنية رائعة نادرة تمتزج فيها لذة العين ولذة الأذن ولذة العقل والقلب . وهذا الانسجام الدقيق بين هذه اللذات هو الغاية الصحيحة للرقص .

ومنذ عرض سرج دى دياجيلف فى باريس قبيل الحرب العالمية الأولى المرقص الروسى ballet russe وأظهر العالم على عبقرية نيجنسكى عنيت العاصمة الفرنسية عناية متزايدة بفن الرقص . وليس من شك فى أن مسرح الأوپرا قد كان له رقصه التقليدى المقرر منذ وقت طويل ، ولكن أخذت حركة جديدة موازية تظهر فى أول القرن إلى جانب هذا الرقص التقليدى . محاولة أن تحدث شيئاً جديداً وأن تنشىء موضوعات مبتكرة للرقص وخطوات لم يسبق إليها الراقصون من قبل . وهناك أسماء ستظل دائما مقرونة إلى هذا الجهد الخصب فى تجديد الرقص والخروج به عن أصوله المألوفة ؛ فالى جانب المرقص الروسى وجدت محاولات لوى فولير التى ابتدعت الرقص من وراء ثقب تقبضها وتبسطها وتمدها وتردها عصا خفية . ووجدت كذلك محاولة أخرى للعودة أو لاحياء الرقص اليونانى القديم ، يستعان على ذلك بما يرى مرسوما على الآنية القديمة. وكانت إزادورا دونكان هى التى استأنفت هذه المحاولة . وقد حاول راقص روسى آخر بين الحربين سرج ليفار ان يعرض على مسرح الأوپرا مذهبه الخاص فى هذا الفن الجميل ، فكان نجاحه الرائع السريع مصدر سطوع عظيم لمراقص الأوپرا كلها . ولكن هذا الراقص العظيم قد حيل بينه وبين إعجاب الباريسيين بعد تحرير فرنسا ؛ لأنه اتهم بالتعاون مع العدو فحرم عليه الظهور على مسارح باريس. منذ ذلك الوقت فتن جماعة من الشباب الفرنسيين هذه المرة بفن تربسكورا إلهة الرقص عند اليونانيين وأخذوا يجمعون شملهم وينظمون عملهم تحت إشراف رولان بيتيه الذى لم يتجاوز بعد السابعة والعشرين من عمره ، واخذوا يعرضون طائفة من المناظر الراقصة فى ملعب الشانزليزيه الذى تسموا باسمه. وقد عرضوا مناظرهم أخيراً فى لوندره فظفروا عند نظارتها بنوز عظيم . ويظهر أن

رئيسهم لم يتح له ما أتيح لنيجنسكى من النبوغ ولا ما أتيح لسرج ليفار من التفوق ، وإنما هو فى أكبر الظن متقن لفنه ولكنه راقص غير ممتاز قد منح جسما جميلا حسن الاتساق فأتاح له ذلك رضا النظارة عنه وحبهم له . وهو مع ذلك قد أحسن اختيار الجوقة التى تعمل معه من الراقصين والراقصات ولا سيما چان بابليه وسولانچ شوارتز. وبرنامج هذه الجوقة كثير متنوع ؛ فهى تبتكر موضوعات جديدة وتعرض بينها من حين إلى حين مناظر تقليدية قديمة كهذا المنظر المشهور شبح الوردة الذى خلده نيجنسكى والذى يعرضه فى رقصة رائعة الشاب الحدث بابليه الذى لم يبلغ العشرين بعد ، والذى ينتمى إلى أب من كبار الأطباء فى باريس . وربما أخذ على رولان بيتيه وجوقته أنهم لا يعنون بالوحدة كما تعنى بها المراقص الروسية ، وإنما يذهب به الالهام مذاهب مختلفة متباينة بحيث يمكن أن يقال إن فى مراقصه إرضاء لكل ذوق . وهى خصلة يمكن أن تكون فى وقت واحد مزية وعيباً . فهو من هذه الناحية يكفل لنفسه جمهوراً ضخما من النظارة ؛ لأنه يتيح لكل فرد ما يلائم ذوقه الخاص من المتاع ، ولكنه من أجل ذلك نفسه لا ينشىء لوناً جديداً من الفن ولا يحدث ثورة حاسمة فى الرقص ، ولا يسبغ على مناظره من الخصائص ما يميزها تمييزا دقيقاً من مراقص سرج ليفار مثلا الذى هو أرسخ منه فى الفن قدما وأشد منه للفن تعمقاً وأقدر على النهوض بما يقتضيه الفن من أعباء . فليس من الممكن إذن أن تدرس مراقص الشانزليزيه فى جملتها ، وإنما يمكن أن تبين الخصائص التى يمتاز بها هذا الراقص أو هذه الراقصة . هذا الافتقار إلى الوحدة وهذا التقصير فى تحقيق الملاءمة يلاحظ حتى فى ثنايا المنظر الواحد من مناظر الرقص حيث تصعب ملاحظة الوحدة فى الحركة ، وإن كانت وحدة الزمان والمكان تظل مفروضة بحكم قوانين المسرح . وينتج عن ذلك الشعور بأن كل فرد من أفراد الجوقة إنما يأتى ليظهر ما يستطيع أن يعرض ، كما ينتج عن ذلك أيضاً أن النظارة لا يشهدون حركة اجتماعية ولا منظراً تشترك فيه الجوقة على أنها كل ، وإنما يشهدون ألعابا رياضية فردية وتمرينات شخصية. وهناك عيب آخر خطير لهذا المرقص وهو أن الموسيقا ليست على انسجام دائم ملحوظ مع الرقص . وإنما هى تعلة صوتية توشك أن تكون عقبة دون فهم الرمز الذى يقصد إليه الرقص . فاذا سجلنا هذه الملاحظة فيجب أن نحمد لمرقص الشانزليزيه مشاركته فى الجهد الذى يبذل لاظهار الجمهور على مذاهب الشعراء المعاصرين من أمثال چان كوكتو وچال بريفرت والملحنين المحدثين من أمثال جاك إيبر وهنرى سوجيت وعلى التجديد فى فن المناظر مما يبتكره أمثال مارى لورانسان وڤاكڤتش .

ولنختم هذه العجالة بكلمات تصار حول المنظر الأخير الذى عرضه مرقص الشانزليزيه منذ أيام ، وهو الشاب والموت . وهو عنوان كما ترى مستعار فى أكبر الظن من رباعية شوبرت : الفتاة والموت ، هذا المنظر يقصه الشاعر چان كوكتو على رولان بيتيه منشىء الرقص وعلى الراقصين چان بابليه الفتى ونتالى فيليبار الفتاة وعلى ڤاكڤتش منشىء المنظر وهو يعرض مقترنا بموسيقى چوزف سبستيان باخ . فى غرفة حقيرة على سطح دار من دور باريس ينتظر المصور عشيقته التى يهواها وهى تأتى ولكنها لا تظهر له حباً وإنما تظهر له ازدراء . وما نزال به حتى تغريه بالانتحار وتدفعه إليه ، ثم تمضى والفنى يقتل نفسه خنقاً . هنالك تتطاير أجزاء الغرفة وإذا نحن على سطوح باريس أثناء الليل نرى من بعد برج إيفل ونرى فى كل مكان أضواء

تشب وتخمد ، ثم يظهر الموت — يرى الفرنسيون الموت دائماً فى شكل امرأة وتؤنثه لغتهم — مقنعاً قد اتخذ ثوب السهرة أحمر قانياً وهو يدنو من الفتى ، حتى إذا بلغه نزع قناعه وقنع به الشاب. فاذا نزع الموت قناعه تبين للنظارة أن الموت ليس إلا هذه الفتاة التى كان يعشقها المصور ، ثم هى تقوده من سطح إلى سطح .

فى هذا المنظر أيضا تنقطع الصلة بين الموسيقا وبين هذا الرقص ، أو بعبارة أدق هذا التخييل . فكل شىء يؤدى بالإشارة والحركة . فالوائد تنهار والكراسى تتحطم والفتاة تلطم الفتى وتكزه وتشمل سيجارة والفتى يضع يده على قلبه ويتمرغ على الأرض . ويمضى المنظر على هذا النحو . والغريب أن جان كوكتو كان قد أعلن إلى الصحف قبل أن يعرض هذا المرقص أنه لا ينتظر له نجاحاً . وكانت نتيجة هذا الاعلان أن الشعب الباريسى أبى أن يتهم بالغباء فمنح المرقص فوزاً عظيما . أما النقد فآثر التحفظ . أيمكن أن يكون تصريح كوكتو لوناً من ألوان الاعلان الذى يريد ظاهره شيئاً ويريد باطنه شيئاً آخر ؟

مؤنس طه حسين

أيام للعربية فى باريس

لمصر منزلة رفيعة فى باريس ، ولأبنائها مقام محمود وسمعة طيبة لدى من يتصلون بهم فى حياتهم العلمية وحياتهم الخاصة . وزاد فى هذا وذاك وجود الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين بك بيننا فى عاصمة العلم والآداب هذه الأيام ؛ فقد ارتفع فيها بفضله صوت مصر والبلاد العربية عامة ، بما أقيم لحضرته من الهيئات الرسمية والعلمية وأبناء العروبة من استقبالات جمعت بين الجلال والجمال ، وبما ألقى فيها من كلمات قيمة فيها الاشادة بالعروبة والثقافة العربية بلسان العالم الثبت الأديب ، وأسلوب لا يقال فيه أكثر من أنه أسلوب الدكتور طه حسين !

ولست أشير فى هذه الكلمة إلا إلى ما شهدته بنفسى ، وأجد هذه الاشارة واجباً علينا لمصرنا والعروبة ، ونحن فى عاصمة كبيرة من عواصم الغرب دوى فيها صوت مصر والعربية ، وسمعه الكثير من العلماء والأدباء ، أساتذة السوربون وغيرهم من رجالات فرنسا .

١ — كانت جلسة طيبة ممتعة منتجة « لاخوان الصفا » ، المتعاونين على العلم والفلسفة والحق ، بباريس بدار أستاذنا الكبير ماسينيون ، نعمنا فيها أثناء تناول الشاى والحلوى الشرقية بحديث من أحاديث الدكتور ، فيه توجيه محمود لجماعتنا الناشئة هنا ، بما أوضح وحدد من الغاية ، ورسم من الطريق والمنهاج ، وذلك عصر الأربعاء الخامس من مايو .

٢ — وكان الخميس غداة هذا اليوم يوما مشهوداً من أيام مصر ؛ إذ دعا أساتذة وطلاب معهد الدراسات الاسلامية بكلية الآداب بالسوربون صفوة من رجال العلم والأدب لاستقبال فخم تكريماً للدكتور ولسماع محاضرة له عن خصائص الأدب العربى الجاهلى .

وبعد أن افتتح الجلسة الأستاذ ليفى بروفنسال ، ألقى الدكتور محاضرته القيمة باللغة العربية ، التى حدد فيها خصائص هذا

الأدب ومقوماته ، وآبان ما يرجع منها إلى الموضوع وما يرجع إلى اللفظ ، وخلص من ذلك إلى أن هذا الضرب من الشعر القديم يوجد فى كل العصور ، حتى العصر الحديث الذى نعيش فيه ، بوجود هذه الخصائص فى بعض نتاج كل عصر .

ثم كان بعد أن هدأت عاصفة تصفيق الحب والاعجاب ، الشاى والحلوى التى قدمت بكرم عجبنا له ونحن فى باريس هذه الأيام ! وفى خلال تناول الشاى كانت كلمات الترحيب من مندوبى الطلاب العرب النابهين .

وانتهى الحفل ونحن نحس السرور والفخر يتمشيان فى أعطافنا ، لمحاضرة عن الأدب العربى ، تلقى من عميده باللغة العربية فى معهد من معاهد السوربون ، وبين نخبة من رجاله أساتذته الفرنسيين !

٣ — أما يوم الخميس الثالث عشر من هذا الشهر مايو ، الذى كانت أيامه أعياداً لنا هنا ، فقد كان يوم شمال إفريقية والأندلس الذى لا ينسى .

إن من الأمانى التى يحلم بها شباب شمال إفريقية الناهض أن يتصلوا اتصالا مباشراً برجال النهضة فى العلم والأدب فى مصر والعالم العربى عامة ، وقد حقق الله لفريق من هذا الشباب ، الذين هاجروا من بلادهم إلى باريس فى سبيل العلم والجهاد لتحرير أوطانهم العزيزة ، أمنية من هذه الأمانى . لقد تفضل الدكتور وأجاب دعوتهم لحفلة شاى ، فكان ذلك من حسنات باريس ، كما أشار إليه رئيس نادى هؤلاء الطلاب وهو الأخ المهدى بن عبود وزميله الفاضل السيد محجوب بن ميلاد .

لقد تحدثا عن العقاب الكؤود التى تحول بينهم وبين الاتصال بالعالم العربى ، هذا الاتصال الذى يجب أن يكون دائماً لخير العروبة جميعاً « ولتحرير الحياة العقلية العربية من قيودها الحاضرة ، وبعث الشخصية العربية قوية جبارة رائدة بين باقى الشخصيات الانسانية » . وهكذا قدر لهذا الشباب أن يبث إلى مصر والعالم العربى فى شخص الدكتور طه حسين بك آلامه ، وأن يزجى إليه آماله .

وأخيراً تكلم الدكتور ، وأفاض فى الكلام من كل قلبه ومشاعره وعقله ، عن مبدأ تعرفه إلى شمال إفريقية والأندلس ، وعوامل حبه لمن أنجب هذا القطر من أقطار العالم العربى الاسلامى من علماء وأدباء ومؤرخين وفلاسفة على رأسهم ابن خلدون وابن حزم ؛ وكيف أنه كان يفر إلى مؤلفات هذين فى فورة شبابه وهو لا يزال طالبا الأزهر ، فيجد فيها متعة العقل والقلب ! كما تحدث طويلا عن فضل هذا القطر على العالم العربى كله ، وعلى التفكير الانسانى عامة ، وعن غير هذا كله من الشؤون التى بعثت فى أبناء هذا القطر أكبر الآمال وأقوى العزائم ، لبعث بلادهم من جديد ، وإضافة الكثير من الأمجاد إلى مجدهم العظيم القديم .

ومن الطريف والقمين بالذكر هنا أن أشير إلى أن الدكتور ، فى حفل معهد الدراسات الاسلامية ، لم يحمد موقف المتنبى كشاعر بين القديم والجديد ؛ إذ لم يرض لنفسه أن يكون محافظاً ، وحاول التجديد فلم يأت بشىء . وكان بين الحضور المعجبين الأخ مصطفى كامل ياسين ، وهو شاب نابه من شباب العراق جاء إلى باريس لاستكمال دراسته للقانون ؛ ويظهر أنه عتب على الدكتور فى نفسه ، حتى إذا كانت حفلة طلاب شمال إفريقية ألقى كلمة شعرية لطيفة ممتعة فيها هذه الأبيات :

يافتى النيل بعض واديك نيل ... زاهر الضفتين عذب المواسم
أدب كابتسامة الفجر تحضل (م) بأنفاسها ثغور الكمائم

هو آمال أمة وتراث ... من رسالاتها بظلك سالم
وسواء بالفضل راية فتح ... خافق ظلها وآية عالم

يشتهي نقدك العراق وإن كا ... ن على آية العراقين حائم
ولذكراك تنثني كوفة الجن ... د وتندى معاهد ومعالم
أو تنسى رسالة المتنبي ... وسراياه والظبا والمعالم
لست أدري وإن فتنت بآيا ... تك والسحر من بنانك ناجم
أخيال من ابن عباد أم فيـ ... ـض من الحق لا يرق للائم ؟

أنت يا ابن البيان وحي عصور ... مشرق عهدها وفيض مكارم
تنطوي صفحة الزمان وأيا ... مك ميمونة ومجدك دائم

وقد أعجب الدكتور بالشعر والشاعر وقربه إليه وأخذ يسأله عن حاله ودراساته هنا ، كما أعجب بذلك الحاضرون إعجاباً شديداً .

٤ — وكان أخيراً ، بعد هذه الأيام المشهودة الخالدة ، أن تفضل الأستاذ الدكتور باجابة دعوة أبنائه المصريين إلى حفل يتحدث فيه إليهم حديث الأستاذ لتلاميذه المخلصين قبل أن يترك باريس إلى الوطن العزيز . ودعى إلى هذا الحفل كثير من العلماء والأدباء والأساتذة الفرنسيين ، وعدد كبير يمثل البلاد العربية شرقها وغربها ؛ وكان ذلك يوم الأربعاء ٢٦ من هذا الشهر ، فى قاعة الحفلات بالمنزل الدولى بالمدينة الجامعية .

وقد بدأت الحفلة بتقديم مندوب Le centre d'accueil à Paris إلى الدكتور وثيقة رسمية من مدينة باريس فيها اعتراف بفضله وتقديره كصديق من أصدقاء باريس ، ثم بكلمات طيبة من الاخوان والأساتذة : القصاص والشاوى وعنبر ، ثم أخيراً عزفت بعض قطع من الموسيقا الغربية . وبعد كلمات الترحيب والشكر من الاخوان تحدث الدكتور إلينا بالفرنسية موصيا ناصحاً بضرورة فهم الحياة بباريس فهما دقيقاً من كل نواحيها وانتهاز الفرص الكثيرة المتاحة لنا لنصل إلى ما يجب من هذا كله ، وبذلك تجنى مصر منا فيما بعد الكثير من الخير ؛ إلى غير ذلك من النصائح الحكيمة التى أمدته بها تجاربه الطويلة ، والتى تنبعث من عقله وقلبه لأبنائه المخلصين . كما شكر باسم المصريين ومصر عامة ما يلقاه هنا أبناؤها دائماً من حفاوة باريس وجهاتها الرسمية ، وعناية الأساتذة عناية شديدة خالصة ، تجمع بين عناية الأستاذ والأب الحكيم .

وكان بين الحضور الذين تفضلوا باجابة دعوتنا من الأساتذة الفرنسيين ، الأساتذة ماسينيون وبريسييه وليفى بروفنسال ، وغيرهم من أساتذة السوربون ومعهد الدراسات الاسلامية والكولوليج دى فرانس .

هكذا كان مقام الدكتور طه حسين بك بيننا فى باريس هذه الأيام ، عظيم الفضل محمود الأثر بفضل الله على مصر والعروبة عامة . ونسأل الله الهداية والرشاد .

باريس فى ٢٧ مايو ١٩٤٦

محمد يوسف موسى